جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

دروس عن بعد في مقياس:
تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء

دروس موجهة لطلبة السنة الثانية تاريخ عام حسب المقرر الرسمي

- السداسي الرابع-

إعداد:

الأستاذ الدكتور: محمد الطاهر بنادي

مدخـــل:

الإنسان الإفريقي وجد منذ مدة طويلة، مثله مثل أي إنسان بنى الحضارات المختلفة، وبما أن تاريخ أي منطقة يكون عن طريق الوثائق المسجلة فإن هنا ك من يعتقد بأن تاريخ إفريقيا لم يكن موجودا عند ما حل بها الأوروبيون عن طريق المستكشفين و المستعمرين حيث تم كشف اغوارها بعد حركة الكشوفات الجغرافية، ونشاط المغامرين الأوروبيين، الذين بدأت في نظرهم أحداث التاريخ ألإفريقي غير أن هذه النظرة تغيرت بفضل التطورات التي دلت على وجود تاريخ لأفريقيا قبل فترة الاحتلال الأوروبي (وجود مخلفات أثرية، وثائق، أدوات وغيرها) حيث كانت القبائل الإفريقية تعبر عن وجودها وذاتها وأن عمليات البحث في تاريخها تطورت وكشفت على أن هناك شعوبا وثقافات ومعتقدات مختلفة خاصة في القرن19، وذلك بعد الدراسات الأنثروبولوجية التي ساعدت على معرفة الكثير عن القارة رغم اختلاف الأفارقة إلا أن لديهم ثقافات تدل عليهم، إن هذه الحضارات تناقلتها الشعوب الإفريقية عن طريق الروايات الشفوية لهذا فإن مصطلح إفريقيا جنوب الصحراء: مصطلح استخدم لوصف المنطقة التي تعد جغرافيا الحد الفاصل من الحافة الجنوبية إلى الصحراء الكبرى، تتكون من دول تقع في البر والبحر. الإفريقي

- شرق إفريقيا إثيوبيا جيبوتي، أريتيريا كينيا الصومال، جنوب السودان، تنزانيا وأوغندا
- غرب إفريقيا غينيا الاستوائية، بنين، بوركينافاسو، الغابون، غامبيا، غانا، غينيا كوناكري غينيا بيساو الكاميرون، ليبيريا، موريتانيا، النيجر، نيجيريا, السنغال، سيراليون، توغو، تشاد و الكوت ديفوار
- إفريقيا الوسطى جمهورية الكونغو ألديمقراطية، الكونغو(زائير سابقا)، جمهورية إفريقيا الوسطى، بورندي و رواندا.

- إفريقيا الجنوبية أنجولا بوتسوانا، ليسوتو، ملاوي، الموزمبيق، زيمبابوي،جنوب إفريقيا سوازيلاند
- دول جزرية إفريقية الرأس الأخضر جزر القمر مدغشقر، موريشيوس، ساوتومي وبرنسيب وسيشل.

المحور الأول: ممالك السودان الشرقي

- مملكة اكسوم
- مملكة الفونج
- مملكة دارفور

1- مملكة أكسوم:

تأسست في القرن الأول ميلادي ، حيث نسبت لمدينة أكسوم التي أصبحت عاصمة هذه المملكة الحبشية، تبوأت مركز الصدارة العالمية في التجارة ، شهدت ازدهارا كبيرا، ساعدها على التوسع على حساب دول الجوار، خاصة من ناحية الشرق والشمال كان ذلك في القرن 3 الميلادي .

اعتنقت هذه المملكة المسيحية، بعد أن وفد إليها المبشرون في حدود سنة 320م ، التي أصبحت ديانتها الرسمية، كانت مملكة أكسوم بدورها مقسمة إلى ممالك عديدة، لكل واحدة منها ملك وهي (تيجراي، امهرا، جوجام، جوا) في حين كان ملك أكسوم هو ملك الموت.

لقد ساهم البحر الأحمر في التواصل الحضاري بين العرب والأفارقة حيث استقر الكثير منهم في الساحل الشرقي لأفريقيا خاصة. اليمنيين وسكان حضر موت والذين أوجدو نواة صلبة للصلات بين جزيرة العرب وإفريقيا.

لقد قامت هذه المملكة في الطرف الشمالي من أثيوبيا الحالية ثم مدت سلطانها إلى الجنوب كان سكانها خليط من الحاميين و الزنوج الذين توافدوا على الأراضي الحبشية من أعالي النيل. كما كانت أول هجرة للمسلمين نحو بلاد الحبشة ،بعد اضطهاد قريش لهم، وقد استقبلهم الملك الحبشي النجاشي واكر م ضيافتهم، تعاقب على حكمها حوالي 20ملكا .

إن مملكة أكسوم ذات شكل مستطيل يبلغ طوله حوالي 300 كلم، عرضه 160 كلم ، تقع على خطي عرض 13 و 170 درجة شمالا وبين خطي طول 30 إلى 40 درجة شرقا.

تذكر المصادر التاريخية بأن حكامها حققوا إنجازات كثيرة من أهمها بسط سلطانهم على دويلات شمال إثيوبيا المفككة ودمجها ضمن مملكتهم، خاضت حروبا في شبه الجزيرة العربية، كما استولت على منطقة تيغراي و وداي النيل، وتمكنت من إخضاع مملكة مروة التي أصيبت بالاضمحلال في تلك الفترة، وقد تمت هذه الانتصارات مع القرن الرابع الميلادي.

كانت قيادة الحملات العسكرية. توكل للملك نفسه أول لأخيه ولأحد اقاربه، كما إتسم نظامها الإداري بالمركزية امتلكت أكسوم قوة تجارية دولية ما يدل ذلك على قيمة عملتها الذهبية الفضية والنحاسية، وهذا ما يعكس. قوتها الاقتصادية، السياسية والعسكرية

لعبت سواحل البحر الأحمر دورا مفصليا في عمليات التصدير التي شملت الكثيرمن المنتجات منها العاج، جلود فرس النهر، القردة، الرقيق، العطور، الذهب، والكثيرمن المنتجات، كما تنوعت موادها التجارية لتشمل المصنوعات الحديدية خاصة مع شبه الجزيرة العربية .

أما المظاهر الثقافية للمملكة فقد تجلت في فن العمارة، النحت المسلات الحجرية الضخمة، التماثيل المعدنية والقصور الملكية.

دخلت أكسوم بعد فترة توسع وازدهار في مرحلة التراجع حيث سادها الضعف والانحطاط منذ حلول القرنين السابع والثامن الميلاديين، حتى بادت في القرن العاشر الميلادي، غير أن شواهد ونفوذها مازالت ماثلة إلى يومنا هذا، جسدتها آثار الكنيسة الأرثوذكسية والأكسومية

1. الممالك السودانية في العصور القديمة :

أطلق المصريون القدامى لفظ السودان على المنطقة التي تضم جزءا محدودا من بلاد السودان العربي أو ما يسمى بالسودان وادي النيل والذي يقع إلى الجنوب من مصر كما أطلقوا عليه أيضا اسم نوبيا ومعناها بلاد الذهب. كما أطلقوا عليه في العهود القديمة اسم كوش ، إثيوبيا وأنوبة.

لقد تعرض السودان لموجات من الغزو قادها المصريون في فترة الدولة المصرية الأولى والتي قامت فيما بين (2420ق م–1850ق م) ، كما استخدم العرب هذه التسمية للدلالة على كل البلاد الواقعة جنوب مصر وجنوب الصحراء الكبرى بإفريقيا والتي يسكنها السود

انقسم النوبيون في بلاد السودان الى خمس مجموعات رئيسة هي: الدناقلة في جنوب البلاد ، الخمس والسكوت في إقليم الجنادل والقديمة بين وادي حلفا و كرسكو أما الكنوز ففي الجزء الشمالي من كرسكو حتى أسوان ، في حين يقع جنوب النوبة في إقليم سنار والجزيرة أما تلال غرب النيل فتسمى كردفان.

لقد نشأت فيه حضارات عديدة منها حضارة مروة والتي قامت بها مملكة نبتة فيما بين (735ق م – 350ق م) متخذة من مروة عاصمة سياسية لها ، في حين كانت عاصمتها الدينية نبتة ، لقد بلغت هذه المملكة حدا من القوة مكنتها من حكم مصر غير انه سرعان ما نشأت على أنقاضها مملكة مروة الثانية والتي اعتبرها المؤرخون امتدادا للحضارة النوبية المصرية.

امتدت هذه المملكة على رقعة جغرافية واسعة شملت إقليم حوض النيل الأوسط مع امتداد حدودها شمالا حتى الشلال الثالث للنهر أما جنوبا وشرقا وغربا فكانت جغرافيتها غير معلومة على وجه التحديد لذا اكتنف تاريخها الكثير من الغموض بسبب شح المعلومات حولها كما لا

يعرف بدقة تاريخ سقوطها رغم إن بعض المصادر تشير بأنها المرحلة الثانية و النهائية لدولة كوش التي تأسست في نوباتا في القرن8ق م عدت مملكة مروة منافسا قويا لدولة اكسوم الحبشية كما مثلت مفترق طرق القوافل من مختلف الجهات مما أهلها بان تشهد تطور اقتصاديا مهما في المنطقة حتى تاريخ إسقاطها من قبل ملك اكسوم (غيزانا) .

لقد قامت بعد هذه الفترة ممالك نوبية ثلاث وهي :

. مملكة نوباديا : والتي تأسست عام 530م ،وكانت حدودها بين اسوان وعكاشة وقد اتخذت مدينة فرس عاصمة لها .

. مملكة المقرة : كانت حدودها من عكاشة حتى كبوشية وقد اتخذت مدينة دنقلا العجوز عاصمة لها .

. مملكة علوة : عرفت باسم علوة نسبة لعاصمتها مدينة علوة والتي تقع قرب الخرطوم كما عرفت عاصمتها كذلك باسم سوبا او السوبا ،امتدت حدودها من كبوشية الى جنوبي النيلين الأبيض والأزرق .

لقد بسطت هذه الممالك الثلاث سيطرتها على القبائل المستقرة بالأراضي المجاورة لنهر النيل وروافده كما سادها طابع القرون الوسطى يذكر بان مملكة علوة انضوت تحت السيادة المصرية بعد قدوم المسلمين الى مصر في حين خضعت نوباديا لنفوذ مملكة المقرة بحيث شكلتا بعد عام 625م مملكتان متحدتان هما المقرة وعلوة.

وبعد وصول المسيحية إلى البلاد المصرية استطاعت أن تتوغل في السودان وبذلك اعتنقت الممالك الثلاث الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي وتحديدا في عام 312م .

لقد انتمى منتسبوها إلى المذهب اليعقوبي وبالتالي كانوا جزءا من الكنيسة القبطية في مصر وقد كان للأباطرة الوثنيين في روما المسيحية دور كبير في لجوء اليعقوبيين إلى السودان خاصة نوباديا بسبب الاضطهاد الديني الذي مورس عليهم.

إن ملوكها بقوا موالين للكنيسة القبطية في مصر معتبرين أنفسهم حواريها وحماتها جامعين بين صفتهم ملوكا وقساوسة كما يحوزون في ذات الوقت بين أيديهم السلطتين الدينية والدنيوية، غير أن المؤرخين لم يتفقوا حول تاريخ توغل المسيحية خاصة في مملكة علوة على وجه الخصوص.

لقد شهدت الفترة الممتدة من 1100 الى1300م أزهى عصور مملكتي النوبة المسيحيتين غير انه وبحلول القرن الرابع عشر ميلادي بدأت في الاضمحلال وهذا بعد التصدع الذي أصابهالأسباب نذكر منها :

–الضغط الذي تعرضتا له من الشمال والجنوب بعد استقرار العرب بمصر منذ القرن السابع الميلادي خاصة في فترة الدولة الفاطمية بمصر ثم الدولة الأيوبية وكذلك الدولة المملوكية حوالي عام 1275م .

– يسود الاعتقاد بان نهاية مملكة علوة كانت على يد جماعة من العرب الغونج وذلك في أوائل القرن السادس عشر ميلادي .

– لم يكن دخول الأهالي بلاد النوبة للمسيحية عن قناعة بل كان بأمر من ملكها .

–اعتمادهما على الكنيسة القبطية في مصر وذلك بشكل مطلق .

– ضعف ملوك النوبة والصراع بين أفرادالأسرة المالكة واشتداد التنافس مع إهمال شؤون الرعية .

– استقرار العرب بالمنطقة بعد هجراتهم المتتالية إليها وممارستهم للتجارة .

2- التمددالإسلامي في بلاد السودان:

لعبت الهجرات العربية قبل ظهور الإسلام دورا مفصليا فيما وصلت إليه العلاقات العربية الإفريقية حيث ساعدت عدة عوامل جغرافية خاصة البحر الأحمر في ظهور هذا التلاقح بين إفريقيا والعالم العربي كما لعب مضيق باب المندب دورا فعالا في هذا الإطار ،حيث مثل طريقا طبيعيا في عملية التواصل الحضاري بين إفريقيا واسيا ، كما كان لنهر النيل دور بارز في ذلك.

لقد سهلت هذه المعابرموجات الهجرات العربية نحو بلاد النوبة والتي تلاها التزاوج والمصاهرة وتمازج الثقافات وروح التعايش ، وبظهور الإسلام وانتشاره زادت أهميتها .لقد بعث والي مصر عمرو بن العاص بجيش كبير إلى بلاد النوبة قاده عبد الله بن أبي سرح حيث عقد صلحا مع الممالك المسيحية القائمة آنذاك عام 25هـ-646م لكن أهل النوبة نقضوا الصلح في عهد عبد الله بن سعد مما دفع به إلى غزو بلادهم عاقدا معهم صلحا جديدا، مكن من إقامة علاقات بين المسلمين وبلاد النوبة والتي ساعدتهم على مد نفوذهم فيها وتضيق الخناق عليها خاصة في القرن التاسع الميلادي بعد انتشار الإسلام والثقافة العربية وقد زادتمدد المسلمين أكثرأثناء الوجود الفاطمي بمصر، مستوطنين السودان مثبتين الثقافة العربية والدين الإسلامي فيه .

مثلت الهجرات العربية نحو السودان أحد أسباب سقوط مملكة علوة بسبب تواجد أعداد كبيرة منهم وهذا بعد أن عجزت عن مواجهة هذه القبائل . كما كان لسقوط مملكة المقرة أوائل القرن الرابع عشر الميلادي دور في اتساع نطاق هذه الهجرات نحوه بحيث مثلت هجرات قبيلة جهينة والتي وفدت من صعيد مصر وبلاد الحبشة اكبر هذه الهجرات وقد استقرت في جنوب بلادالنوبة والبجة منذ منتصف القرن التاسع الميلادي والتي أقسمتإلى ثلاث مجموعات رئيسية : شملت قبيلة رفاعة، اللحومية، الحلوبية ، العوامرة الخوالدة ، الشكرته ، القواسمة ، العبدلاب والعركيين وهؤلاء يقيمون في نصف الشرق من السودان بالإضافةإلى قبائل دار حامد ، بني

جرار، الزيايدية، السنابلة والمعاليا ومساكنهم هي المنطقة الوسطى والشرقية في حين تركزت في كردفان ودارفورقبائل الورقية، الملحية، المحاميد، الكبابيش المعاربة، الحمر ومعهم قبائل العدنانية، القحطانية ،الجهنيون، الكواهلة ،الجعليون والرشايدة .

1. مملكة الفونج(سنار) : 1504 م . 1820 م

شكل تأسيس مملكة الفونج أو السلطنة الزرقاء في مطلع القرن السادس عشر ميلادي منعطفا تاريخيا مهما في تاريخ السودان الحديث وذلك على حساب مملكة علوة المسيحية في منطقة وادي النيل الأزرق.

لقد جاء تأسيسها تتويجا لحلف بين عرب القواسمة المعروفين بالعدلاب والذين كان زعيمهم عبد الله جماع والقبائل الجنوبية بزعامة عمارة دنقس وهو من قبيلة الشلك النيلية الجنوبية حيث تمخض عن هذا الحلف تنصيب عمارة دنقس سلطانا عليها وعبد الله جماع نائب له وممثله في المناطق الشمالية .

وقد أطلق عليها المؤرخون اسم مملكة سنار أوالمملكة الزرقاء والتي تمتد حدودها من الشلال حتى حدود إثيوبيا جنوبا ومن الصحراء الشرقية حتى ساحل البحر الأحمر إلى كردفان غربا باستثناء مدينة سواكن التي كانت تحت نفوذالأتراك بعدإخضاعهم لمصر عام 1517م .

تتكون من عدة سلطنات ومشيخات خضع بعضها بشكل مباشر وبعضها بشكل غير مباشر وهي : خشم البحر ، فازوغلي ، الحمدة ، بن عامر ، الحلتفه ، الشنابلة ، المناصير ، الجعليين، الميرفاب، الجموعية ،الرباطاب ،الشابقية دنقلا العجوز ، الخندق ، ارغو ،الانقسنا، الوطاويط، البرتا البرون ، الفلاقة ، كنانة، الدغيم ، العركيين ، الجمجم ورفاعة.

اختلفت الروايات حول أصولهم فمنهم من ذهب الى القول بأنهم من إقليم البرنو دخلوا السودان من غربه في القرن الخامس عشر ميلادي ومنهم من أرجعهم إلى الشيلوك القاطنين في جزر النيل الأبيض، بينما أرجع البعض أصولهمإلى منطقة أعالي النيل الأزرق وإقليم

فازوغلي، لكن الرحالة جيمس بروس ذكر بأنهم ينحدرون من قبيلة الشلك وهذا بعد زيارته لمنطقة سنار عام 1772 م وبأنهم قدموا من النيل الأبيض على متن زوارق صغيرة .كما يرجع البعض أصولهم إلى البرنو في السودان الأوسط ، في حين ترجع بعض الروايات أصولهم إلى بعض القبائل العربية التي استطاعت أن تتحالف مع بعضها البعض لتقضي على الأسرة المالكة في علوة، غير أن الفونج أدعوا بأن نسبهم يعود إلىالأمويين الذين فروا من بلاد الشام عام 132هـ بعد سقوطها في يد العباسين وتوغلوا حتى وصلوا إلى منطقة سنار على النيل الأزرق وعموما فان معظم الروايات ترجح أصلهم العربي ،إن أهم ما ميز هذه القبائل هو غلبة العنصر العربي على مكوناتها وان معظمهم يدينون بالإسلام كما أنهم يتحدثون اللغة العربية التي كانت لغة الدولة الرسمية .

اتسم نظام الحكم في دولة الفونج بالتالي :

–السلطان :يتم تعيينه من أبناء العائلة الحاكمة سواء أحد أبنائه ،إخوتهأوأعمامه وذلك عن طريق مجلس يتكون من كبار رجال الدولة بعدها تتم مبايعته ، كان السلطان في سنار يتلثم بلحاف من حرير ملون يرتدي معطفا موشى بالذهب يضع على رأسه حزاما من قماش وعمامة بيضاء .

–معاونوه: يأتي الوزير بعد السلطان يلقب بسيد القوم يشغل منصب قائد للجيش إضافةإلى رجال الدين وشيوخ الطرق الصوفية .

–المشيخات المحلية : تمتعت باستقلالية ذاتية ولم يكن السلطان يتدخل في تصريف شؤونها فقد كانت سلطته عليها رمزية فهي تؤدي الضرائب والزكاة ، كما كانت تزوده بالرقيق وبعائدات الرسوم التي تعد موارد هامة لخزينة السلطنة ان القرية بقت تحت سلطة القبيلة الواحدة او بعض من فروعها موالية لمشيخات القبائل كما كانت أراضيها ملكا مشاعا بين أفرادها الذين يشتغلون بالزراعة والرعي .

إن أهم المشيخات التي كانت تتبع دولة الفونج هي:

. مشيخة العبدلاب : من حجر العسل إلى سوبا (بين اريحي والشلال الثالث).

. مشيخة خشم البحر : على النيل الأزرق الشرقي بين الرصيرص حتى فازوغلي .

. مشيخة بني عامر: في الصحراء الشرقية بين البحر الأحمر وخور(بركة) .

. مشيخة الحلالقة : في جبل كسلا على القاش.

. مشيخة السنابلة :على النيل الأزرق شمال سنار .

. مشيخة الجعليين : بين حجر العسل والدامر ومركزها شندى.

. مشيخة الميرفاب : في شمال مشيخة الجعليين ومركزها بربر .

. مشيخة الرباطاب : فيما وراء أبي حمد .

. مشيخة المناصير : من الشامخية إلى الجندل الرابع .

. مشيخة الشايقية : يقطنون دنقلا .

لقد تميزت علاقات مملكة الفونج مع إثيوبيا بالودية وحسن الجوار نلمس ذلك من خلال رسالة ملك إثيوبيا "تكلاهيمانوت الأول" (1706 م . 1708 م) للسلطان بادي الثالث الأحمر (1682م . 1715م) والتي تضمنت أواصر الصداقة وحسن الجوار والتآخي بين الدولتين.

يذكر بان هذه العلاقات تراوحت بين الودية تارة والندية تارة أخرى تبعا لمتغيرات الساحة السياسية في كلا البلدين وللظروف الأمنية والاقتصادية لكليهما ،كما نجحت في إقامة علاقات ودية مع العثمانيين في البحر الأحمر وشجعت التجارة مع المصريين عبر طريق القوافل التجارية التي كانت تدر عليها أرباحا طائلة تذهب إلى خزينة السلطان ، حيث أقيم فيها مع

أوائل القرن 18م حوالي خمسة عشر مركزا تجاريا في كل من بربر ، الدامر ، شندى ، وادي مدنى ، وسنار هذه الأخيرة كان يقيم بها حوالي 30الف نسمة

إن تحول التجارة الدولية عن مصر والبحر الأحمر نحو طريق رأس الرجاء الصالح أدىإلى تراجع مواردها المالية فبدأت تضعف مع لجوء القبائل الى السطو و السلب و النهب مع عجزها عن ردعها الأمر الذي أدىإلى ضعفها وتفككها ،ومع أواخر أيامها سيطر عليها وزراء الفونج المعروفين باسم الهمج أو الهمق الذين وقفوا عاجزين عن وضع حد للفوضى وتدهور السلطنة. ومع أوائل القرن التاسع عشر انشقت عنها الكثير من القبائل والمدن مثل قبيلة الشايقية ومدن شندى و الدامر.

وبذلك زالت دولتهم بعد أن تنازل آخر سلاطينهم وهو السلطان بادي عن ملكه يوم دخول الحملة المصرية بقيادة إسماعيل باشا بن محمد علي عام 1821 م وذلك بعد وصوله إلى عاصمتها وتوقيع بادى على وثيقة الاعتراف بتبعيته للسلطان العثماني وتسليمه إدارة البلاد إلى والي مصر.

لقد ساهمت عوامل عديدة في سقوطها نذكر منها ما يلي:

. عدم اهتمام السلاطين باحتواء العناصر المختلفة والمشكلة للمملكة، لهذا كان الولاء للمشيخات ورؤساء القبائل.

. إثقال كاهل القبائل والعشائر بالنظام الضرائبي مما فاقم من تأزم أوضاعها اقتصاديا ،مع تحول تجارة الرقيق نحو طريق رأس الرجاء الصالح ،واستحواذ الأوروبيين على سواحل إفريقيا الغربية وإنشائهم لمراكز تجارية هناك.

. تردي الأوضاع السياسية بسبب الفتن والاضطرابات خاصة في عهد السلطان بادى أبو شلوح وذلك بعد أن انقلب عليه الجيش.

. ظهور سلطات دينية متعددة، حيث زادت من تعقيد أمور المملكة فشاع التعصب بين الفقهاء والذي انعكس سلبا على الاستقرار الاجتماعي.

. حروب الاستنزاف بين السلطنة وإثيوبيا خاصة عام 1604 م ، أدت إلى إضعافها ،مما دفع بالقبائل إلى الامتناع عن دفع مستحقاتها من الضرائب.

ما يمكن قوله بأن دولة الفونج لعبت دورا حضاريا معتبرا في السودان وذلك بنشرها للغة العربية ومظاهر الحضارة الإسلامية، فقد استطاعت إنهاء وجود مملكة علوة المسيحية ،وعمرت لفترة ثلاثة قرون، غير أن التعصب القبلي وابتعاد ملوكها وسلاطينها عن العالم الخارجي مكن الأتراك من إحكام سيطرتهم عليها وإخضاع عاصمتها سنار سنة 1820م.

مملكة دارفور :(1596 م . 1916م)

تشير بعض الدراسات إلى أن أول من أسس هذه المملكة هم العرب الوافدون من مراكش وتونس ومصر بعد أن انتصروا على القبائل التي كانت تسكن الصحراء ، حيث بسطوا سيطرتهم عليها وامتزجوا بها مشكلين دولة الفور،وكانت هجرات هؤلاء قد بدأت في القرنين 12 و13 ميلادي من بلاد المغرب عبر الطرق الصحراوية التي تبدأ من طرابلس نحو الجنوب وقد وصل الإسلام إلى هذه الديار بواسطة هذه القبائل البربرية الوافدة من الشمال .

يذهب البعض إلى القول بأنأصول هذه المملكة تعود إلى سلالة بني العباس ، وذلك بعد أن هاجر شقيقان إلى هذه المنطقة بعد سقوط الدولة العباسية على يد المغول عام 1258م ولكن بعد حدوث خلاف بينهما أتجه أحدهما إلى جبل مرة في دارفور والتي كانت تحت سلطة الملك شاودورشيت الذي أحسن ضيافته وزوجه ابنته التي أنجبت ابنا سماه سليمان سولونج والذي أصبح فيما بعد ملكا على بلاد الفور ،وبذلك تمكن من وضع أسس المملكة ،حيث كانت منطقة جبل مرة بداية لتأسيسها والتي أتخذها الملك سليمان منطلقا لحكمه الذي عمر إلى غاية عام 1670م ، ناشرا سلطاته كاملة على الإقليم.

تنقسم هذه المملكة إلى أربع مقاطعات هي غارب في الغرب ، ريح في الشمال ، صباح في الشرق وصعيد في الجنوب ، تشكلت من القبائل التالية:

. الزغاوة وهم من المجموعات شبه العربية حيث تعتبر من أكبر قبائل دارفور وهم خليط من التيبو، الحاميين والزنوج ، يتحدثون لهجة التيبو ، كما يتحدثون معها اللغة العربية . وإلى جانب الزغاوة توجد قبائل البديات . البرتي . الميما والبيقو ، في حين تتكون المجموعات النوبية من البرقد ، الميدوب ، أما المجموعات العربية فتمثلها قبائل الرزيقات ، التعايشة ،الحمر ، البقارة ، المعاليا ، المساليت ، المسلات ، الهبانية، بنو هلبة ، القمر ، المناصرة، وبنو فضل الزيادية.

تعد دارفور محور الطرق التي تربط بين المراكز النشطة في وادي تشاد وبورنو في الغرب ومع الشمال الغربي في طرابلس وتونس عن طريق فزان ونحو الشمال الشرقي مع مصر عن طريق درب القوافل وسنار عن طريق كردفان ، أما شرقا فنحو البحر الأحمر والجزيرة العربية ونحو الجنوب الشرقي على منطقة بحر الغزال عن طريق بحر العرب ، حيث جمعت عناصر مختلفة من حيث تكوينها العرقي أو العقائدي ، فقد جمعت بين المكونات العربية والزنجية والتي تحمل تقاليد مختلفة عربية وزنجية.

تدين مملكة دارفور بالإسلام رغم أن تدين أهلها كان سطحيا وكانت الشريعة الإسلامية هي مصدر القانون، إضافة إلى العادات والتقاليد تميز سكانها بطبيعتهم الرعوية كما اشتغل بعضهم بالزراعة ،وكانت مداخيل الدولة من العشور ، الزكاة والجزية السنوية ، ارتبطت في معاملاتها التجارية مع مصر وبلاد الهند .

شكل الرقيق عماد جيشها الذي كان معظمه من الفرسان الذين كان سلاحهم السيوف، اتسم نظام الحكم فيها بالوراثة والشمولية وبالسلطة المطلقة للملك الذي كان يلبس قميصا مذهبا وشالا من الكشمير، يضع على رأسه تاجا من الذهب

قسمت الدولة إلى أربع وعشرين قسما لكل قسم منها رئيس يعرف بالملك وكانت الأرض تتبع للسلطان يعاونه في إدارة شؤون المملكة وزير يعينه ويقيله متى شاء ، كما كان له مجلس استشاري وموظفون مهمتهم تحصيل الضرائب.

تداول على حكمها عشرة سلاطين حتى عهد الحكم المصري للإقليم عام 1874م وهم على التوالي:

. موسى بن سليمان سولونج (1670 . 1682) م وهو المؤسس التاريخي للسلطنة.

. أحمد بن بكر بن موسى (1682 . 1722)م.

. محمد (دورة) بن أحمد بكر (1722 . 1732)م.

. عمر (ليل) بن محمد دورة (1732 . 1739) م.

. أحمد قاسم بن أحمد بكر(1739 . 1752) م.

. محمد تيراب بن أحمد بكر (1752 . 1787) م .

. عبد الرحمان الرشيد بن أحمد بكر(1787 . 1802) م.

. محمد فضل بن عبد الرحمان (1802 . 1839) م.

. محمد حسين بن محمد فضل (1839 . 1874) م.

. إبراهيم بن محمد حسين (1874. ...) م(33).

استطاع المصريون إخضاعها لسلطانهم عام 1874 م وذلك بعد أن أبدى جيشها مقاومة شديدة لهم ، غير أن علي دينار نجح في تأسيس حكومة بدارفور عام 1898 م، وهذا بعد سقوط الدولة المهدية متخذا من مدينة الفاشر عاصمة لسلطنته متحالفا مع الأتراك والسنوسيين

عام 1916 م ، مما دفع ببريطانيا إلى إرسال حملة عسكرية قادها هولستون ، حيث قتل في ضواحي مدينة الفاشر في 6 نوفمبر 1916 م وبمقتله انتهت مملكة دارفور .

المحـور الثانـي:

الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا

تمهيد:

كانت علاقة العرب بالأفارقة ذات جذور قديمة حيث إنبنت على أسس التعاون الاحترام المتبادل وخدمة القضايا المشتركة بين سكان إفريقيا وشبه الجزيرة العربية لقد توطدت هذه العلاقة بفضل عوامل عديدة منها التواصل ، التفاعل والاحتكاك المباشر بين الطرفين خاصة بعد ظهور رسالة الإسلام وتمدده في القارة السمراء بشكل كبير وواسع لذا قامت ممالك دويلات وإمارات إسلامية في سواحل إفريقيا الشرقية ووصلت إلى القارة، غربها وجنوبها ولهذا قامت في افريقيا خلال فترة العصور والوسطى وبالضبط من القرن 8 إلى 16 م. الممالك التي عمرت فترة من الزمن في وسط وغرب وشرق إفريقيا حيث ساهمت في نقل مظاهر الحضارة الإسلامية. الى تلك المناطق سياسيا، واقتصاديا واجتماعيا.

- **مملكة غانا:**

تعد أول الممالك في غرب إفريقيا. بل واقدمها وعلى أنقاضها قامت مملكة مالي و مملكة سنغاي ثم ممالك أخرى منها كانم، بورنو، باقيرمي، الواداي، كذلك ظهرت ممالك أخرى مثل (التكرور) التي مثلتها قبائل عديدة كالهوسى والفولاني. دخل الإسلام مملكة غانا أواخر النصف الأول من القرن الأول ولم يكد يمضي عام 60هـ 679م حتى أنجز في مدينة كوبي صالح عاصمة غانا 12 مسجدا في الجزء الذي يسكنه المسلمون بالإضافة إلى. وجود علماء وأئمة وفقهاء ولقد ازدادت علاقة. مملكة غانا بالمسلمين في عهد الحكومة الإسلامية التي قامت في عهد الحكومة الإسلامية أواخر القرن 11م، خاصة بعد. تواصل ملوكها المسلمين بالخلافة العباسية والذين ربطوا أنفسهم بها وحكموا ممالكهم باسم الخليفة العباسي كما.أن صلة مصر لم تنقطع بها

- **مملكة مالي:**

تعتبر من أقوى واغني الممالك التي قامت في السودان الغربي، بالمملكة التي يمكن ان نقول بأنها مملكة ميزت فترات التاريخ الإفريقي تطورا وتقدما فقد كان لها السبق في توحيد القبائل الإفريقية ضمن وحدات سياسية أو ممالك بل إن سادة هذه الممالك كان لهم دور بارز وهام في نشر الإسلام في غرب إفريقيا.

يذكر أنها قامت على أنقاض مملكة غانا وخلفتها على السيادة في غرب إفريقيا،هناك من يقول بأنها اشتهرت بأسماء عديدة: الماندينقو، ينجو، مالي، التكرور وكما تذكر المصادر بأن الماندينقو من أكثر شعوب غرب إفريقيا تحمسا للإسلام والدعوة إليه. إن ملوك مالي اقترنت أسماؤهم في نهاية القرن 11 م بالفتوحات في مختلف أنحاء غرب إفريقيا من خلال نشر الإسلام وإقامة مؤسساتهم من مساجد ومدارس فضلا عن تشجيع الفقهاء والعلماء على ارتياد المساجد. مالي لغرض النهوض بالدعوة الإسلامية وللقيام بواجب التعليم وكمثال على ذلك: : يذكر على أن أشهر ملوكها كنكن موسى كان يبني مسجداً في كل مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها، لهذا تمتع العلماء والمسلمون بمكانة كبيرة في هذه المملكة كما أنها بذلت مجهودات جبارة في سبيل نشر هذه الدعوة في مناطق إفريقيا الغربية حتى اقترن اسمها بالدعوة إلى الإسلام.

- **مملكة سنغاي:**

تعد إحدى الممالك التي ازدهرت في المناطق الواقعة ما بين حوضي نهر السينغال والنيجر ، إن هذه المنطقة من بلاد السودان الغربي. شهدت نهاية القرن 16 م على التوالي ميلاد ممالك إسلامية وهي ثلاث مالي، غانا، سنغاي، هذه الأخيرة تأثرت بمؤثرات الثقافة العربية الإسلامية.

لقد تطورت علاقات مملكة سنغاي التجارية : غانا، تونس، برقة ومصر. وكانت هذه العلاقات التجارية ذات أثر بعيد في تحول ملوكها إلى الإسلام في القرن 11 م عن طريق شمال إفريقيا.

إن من بين أعظم ملوكها الأسقيا محمد، الذي يعد من أقدم ملوك غرب إفريقيا حيث بدأ في تنظيم شؤون المملكة الإدارية كما نظم الجيش واهتم بالشؤون الدينية.

استطاعت مملكته أن توحد كل أقاليم غرب إفريقيا تحت حكم واحد ، أن جهوده وخلفائه لم تقتصر فقط على عملية توسيع رقعة مملكتهم بل امتازوا كذلك بخبرة إدارية من خلال مساعدة العلماء والتجار لهم، فقد أقيمت إدارة موحدة في السنغال شملت وزارة ، المالية ، العدل،الداخلية، الزراعة والغابات و وزارة أخرى تهتم بشؤون البيض أو الأجانب من مواطني شمال إفريقيا والطوارق الذين يقطنون أطراف الصحراء .

إن من بين أهم مدنها طمبكتو التي عدت مركزا علميا ذو إشعاع فكري ، ففي جامعتها تدرس العلوم الدينية ، الشريعة ألإسلامية فن الخطابة ،النحو ،الآداب ، حيث يقوم بالتدريس فيها أساتذة زائرون من القاهرة ، غدامس (ليبيا) علاوة على ذلك الأساتذة. المحليين

المحور الثالث:

الممالك الاسلامية في السودان الاوسط

- مملكة كانم بورنو
- مملكة باقيرمي
- مملكة الواداي
- ممالك الهوسا

•مملكة كانم بورنو :

أ- **كانم:** تأسست فيما عرف في التاريخ القديم بالسودان الأوسط، والمقصود به تلك المنطقة الفسيحة الممتدة من الضفاف الشرقية لنهر النيجر الأوسط حتى الضفاف الغربية للنيل الأبيض هذه المنطقة تشمل النيجر، تشاد والكاميرون والكونغو الجزء الغربي لجمهورية. السودان. إن مملكة كانم هي الواقعة إلى الشرق من بحيرة تشاد والتي توسعت حتى أضحت تسيطر على جميع الأراضي الواقعة إلى الغرب والشمال من البحيرة بل أصبحت البحيرة نفسها تتوسط قلب المملكة ، اكتسبت هذه المنطقة موقعا هاما بإعتبارها ملتقى طرق القوافل التجارية المارة عبر إفريقيا مما جعلها منطقة استقطاب تجاري فضلا على أن منطقة بحيرة تشاد منطقة خصبة اجتذبت إليها الكثير من العناصر، كما أن طبيعتها الجغرافية التي تخلو من العوائق الطبيعية أدت إلى تسهيل عملية التنقل منها وإليها

إن المجموعات القبلية التي انتقلت إليها استقرت هناك واشتغلت بالزراعة وامتهنت الرعي، كما ساعد انتشارهذه القبائل حول بحيرة التشاد بعد أن استقرت بها إلى امتزاج بعضها ببعض بما فيها القبائل العربية الوافدة الى تلك البلاد طلبا للرزق اومن أجل نشر الثقافة والدين الإسلامي .

تذكر بعض المصادر بأن مملكة كانم تأسست قبل الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا، لكن بعض الكتابات التاريخية الأخرى ترى بأن تاريخ قيامها يعود إلى القرن الثاني هجري 8 م، بعدها نمت وتوسعت خلال القرنين 9 و 10م، وذلك بعد دخول الإسلام و رسوخه بين سكانها.

استطاع المسلمون عن طريق العقيدة الإسلامية توحيد مختلف القبائل في كيان إسلامي واحد. اتخذت مملكة كانم مدينة إينجامي (إنجامينا) عاصمة تشادعاصمة لها، هذه المدينة تقع في الشمال الشرقي لبحيرة تشاد في إقليم أكوار، حيث شيدها ملوك الأسرة التي تنتسب الى سيف بن ذي يزن والتي عرفت بالاسرة السيفية، تعد إينجامي أول عاصمة شيدت بعد اعتناق

ملوكها الإسلام حيث كان لهم عاصمة قبل ذلك تسمى البلما وهي تقع في إقليم أكوار كذلك يقسم المؤرخون مملكة كانم إلى:

1_فترة وجود الدولة شرق بحيرة تشاد هذه الفترة امتدت من09 حتى 14 م.

2_فترة انتقال الدولة الى غرب البحيرة، والتي امتدت من أواخر 14م حتى دخول الاستعمار.

إن هذه الدولة عمرت طويلا، لذا تعددت مواقعها الجغرافية اتساعا وانكماشا حسب الأحوال، حيث أخذت اسمين الإسم الأول هو كانم وكانت تقع شرق بحيرة تشاد، ثم إنتقلت غربا فصارت تعرف ببورنو، لهذا اتفق المؤرخون على تسميتها كانم بورنو، اذ تعد امتدادا لكانم .إن كانم تعد بحق من اشهر الممالك الإسلامية التي قامت في افريقيا جنوب الصحراء.

- **مملكة باقيرمي :**

هو إسم دولة إفريقية في القرن العاشر هجري الخامس عشر ميلادي وهي من ضمن ممالك تشاد القديمة ، قامت على الضفة الشرقية لنهر شاري جنوب بحيرة تشاد ، كانت عاصمتها ماسينيسا تضم مناطق شاسعة تابعة لها، تعد من أهم الممالك التي قامت بدور فعال في نشر الحضارة الإسلامية ، ضمت النطاق الجغرافي الذي تهيمن عليه وذلك. منذ 1513م إلى غاية التغلغل الفرنسي الاستعماري ، ومن بين أهم ملوكها السلطان عبد الله بن مانو الذي حكم فيما بين عامي 1568م_1608 لقد خدم اركان الإسلام وقوى نفوذه في البلاد بصورة عامة وبشكل علني ، كما إتخذ لنفسه لقب بانغ ويعني السلطان ، كانت مرجعيته في فكره السياسي مملكة بورنو . إن نفوذ مملكة باقيرمي إمتد إلى الكثير من المناطق المجاورة حيث أبعد الوثنيين عن بلاده وأقام الشعائر الإسلامية وطبق الشريعة كذلك . لقد أصبحت هذه المملكة مدينة علمية في المنطقة يرتادها طلاب العلم من كل أنحاء المناطق المجاورة لتلقي مختلف العلوم بها بسبب وجود العلماء

وهكذا عدت من بين أهم معالم الحضارة الإسلامية في وسط إفريقيا قبل التواجد الاستعماري الفرنسي. بها .

مملكة الواداي :

عبارة عن تلك المنطقة الواقعة شمال شرق مملكة باقيرمي ، كما أنها تقع إلى الجنوب من البلاد المعروفة باسم البركو المجاورة لكانم كما أنها تقع غرب دارفور، تأسست على يد السلطان عبد الكريم جامع عام 1835 م كما تعاقب أبناؤه على حكمها حتى إستيلاء الفرنسيين عليها عام 1909م . لقد هاجرت قبائل القارة العربية إلى هذه المنطقة واستوطنت في مدينة وارة عاصمة المملكة ، يتكون نسيجها السكاني من عدة قبائل أبرزها العرب منها المابا، التاما، الداجو، المساليت، والميمي القرعان، الموبي، تتحدث عدة لغات لكن اللسان العربي يعتبر القاسم المشترك. الذي جمع. بين السكان .

لعبت مملكة الواداي دورا مهما في نشر الإسلام وتطور اللغة العربية والثقافة. الإسلامية في المنطقة لعوامل عدة ميزتها عن غيرها من الممالك التشادية الأخرى منها:

موقعها الجغرافي المتاخم للسودان، مصر وليبيا و أن الحكام فيها كانوا يستخدمون اللغة العربية ويطبقون الشريعة الإسلامية في محاكمهم المحلية

- **ممالك الهوسا :**

تقع الهوسا بسهولها الخصبة بين مملكتي بورنو وسنغاي في حوض نهر النيجر الأعلى ، وقد خضعت لنفوذ جيرانها من الممالك الكبيرة في بعض الأوقات ، والهوسا ليسوا قبيلة واحدة ولكنهم خليط تشكل عبر القرون من أصول عرقية مختلفة يحبون الارتحال من مكان الى أخر ويحترفون التجارة أيضا ، مثلت مركزا مهما للتجارة حيث تقع على طرق التجارة التى كانت تجوبها القوافل الرئيسة مع شمال إفريقيا ، انه ومع نهاية القرن 16م أصبح إقليم الهوسا خاصة

مدينة كاتسنا أهم مركز تجاري وثقافي وبقي تجارها يسيطرون عليها في السودان الأوسط بل اصبحت لغتهم لغة المعاملات التجارية

إن هذه الممالك عرفت الإسلام بعد أن تمدد في اقليم الهوسا بعد دخوله إلى مدينة (كانو) بسبب الهجرات العربية في القرن 14م، وازداد التواجد الاسلامي بها خاصة في عهد قبائل الفولاني مع بداية القرن 19م بزعامة الشيخ عثمان دان فوديو.

المحور الرابع: الطرق الصوفية

- الطريقة القادرية
- الطريقة التيجانية
- الطريقة السنوسية

لعبت الطرق الصوفية دورا بارزا في نشر الإسلام والثقافة العربية منذ قرون خلت في إفريقيا السوداء أهمها:

1- **الطريقة القادرية:** نسبة إلى عبد القادر الجيلالي من العراق انتشرت في افريقيا خلال قرن12 م دخلت إفريقيا الغربية عن طريق موريتانيا وكانت منطقة ولاتا أول مركز لهذه الطريقة ثم امتد نفوذها ليصل إلى طمبوكتو في القرن 15 م ولم يمض وقت طويل حتى عجت البلاد الافريقية بدعاة القادرية التي وصلت حتى غينيا وكان الدعاة القادريون يدعون إلى الدين والعلم معا ويرسلون من يود التزود بالعلم إلى شمال افريقيا كما كانوا يؤسسون المدارس ويشرفون وينفقون عليها، وقد قام نشاطهم في البداية على الإرشاد والتمسك بالفضيلة كما كانت تضم في صفوفها الطبقة المترفة، إن هذه الطريقة كطريقة صوفية ظهرت خلال القرن 16 م رغم أن تطورها الحقيقي كان في بداية القرن 19م، إذ تحول مذهبها من الاهتمام بالجانب الدعوي إلى الجانب السياسي كرد فعل على ظهور الاستعمار الأوروبي في المنطقة.

إن من بين شيوخها الذين كان لهم الدور الهام في نشر الدعوة ومناهضتهم للاستعمار الشيخ أحمدو 1755م، الشيخ عثمان دان فوديو 1745، ومما يثبت التطور الذي عرفته القادرية خلال النصف الثاني من القرن 19م منه ظهرت بعض المدن كمراكز للنفوذ الاسلامي القادري في المنطقة بين الوثنيين ومن ذلك العواصم المتعددة بداية من تشاد إلى الكاميرون.

إن القادرية شانها شأن الطرق الأخرى في كافة أنحاء العالم الإسلامي بدأت تضعف في إفريقيا السوداء وتنحرف ومرد ذلك ما اتسم به بعض دعاتها الذين اتبعوا أسلوب المهادنة والصداقة في الكثير من الاحيان مع الاستعمار مما جعلها تضمحل تدريجيا وتذوب في شكل افريقي مع بداية القرن العشرين ومهما يكون من الأمر فلو لا القادرية لما ظهر الشيوخ ولا عرفت شعوب افريقيا مبادئ الدين الإسلامي السمحاء

2- **الطريقة التيجانية:** نشأت هذه الطريقة في الجزائر بعين ماضي مؤسسها الشيخ أحمد بن محمد التيجاني 1737م/1815م تعتبر سنة 1777م -1778 بداية نشر هذه الطريقة وذلك انطلاقا من مدينة فاس المغربية التي أقام فيها أواخر أيام حياته داعيا لطريقته في المنابر الصحراوية في افريقيا الغربية. عبر الصحراء الموريتانية وتونس ، وكان الشيخ التيجاني يقوم بتأسيس الزوايا في المناطق التي يحل بها خاصة زاوية فاس ولقد سلكت التيجانية تقريبا نفس الأسلوب الذي سلكته القادرية فكان الأسلوب الأول سلميا والثاني مدعما بالجهاد والسيف إن المبادئ التي ارتكزت عليها تمثلت فيما يلي:

- الحفاظ على جوهر الدين.
- العمل بالقرآن
- اصلاح شأن المرأة
- مقاومة الاستعمار

إن التيجانية انتشرت انتشارا واسعا في السودان الغربي عامة والسينغال خاصة والمناطق المحيطة به وذلك في فترة قصيرة من تأسيسها غير أن التطور العام الذي عرفته يعود إلى عهد الحاج عمر تال. الذي عزم على نشر الإسلام بين الوثنيين في إفريقيا بأكملها وأعلن الجهاد ضد الوثنية والاستعمار الفرنسي، وقد استطاعت بفضله الوصول حتى شرق تشاد وقد حذا حذوه الشيخ سموري توري 1846م-1905، في أعالي النيجر. ومع أواخر القرن 19 انقسمت التيجانية إلى فرق متعددة بسبب الخلافات وقد قدر لها أن تنمو بمفهومها الافريقي.

3- **الطريقة السنوسية:** ثمة دور هام للطريقة السنوسية في نشر الاسلام في المنطقة الواقعة بين وادي النيجر غربا والتشاد شرقا وقد أسسها محمد بن علي السنوسي وهو من الجزائر (مستغانم) ولد 1787م توفية 1879، بدأ في نشر مذهبه سنة 1837 والذي يقوم على إصلاح شأن الإسلام ومحاربة البدع والرجوع إلى جوهر الدين والعمل على نشر الدعوة بالإقناع والسلم والإغراء، لقد تعرضت هذه الحركة لمضايقات استعمارية جعلت زعيمها

يستقر في واحة جغبوب في برقة حيث أنشأ فيها معهدا علميا، وبالإضافة إلى تلقي الطلبة للعلم كانوا يتدربون على الرماية وركوب الخيل واستعمال السلاح، كما انها كانت مركزا اقتصاديا هاما وبعد وافته انتشرت طريقته انتشارا واسعا شملت القسم الشرقي من الصحراء الكبرى.

إن من بين مآثر أتباع هذه الطريقة محاربتهم لتجارة الرقيق حيث كانوا يشترونهم ثم يقومون بتعليمهم بعدها يحررونهم كما أن السنوسيين دعموا كل الحركات التحررية التي قاومت الاستعمار كدعمهم للتوارق في صحراء النيجر وغيرها، ومن إنجازات الطرق الصوفية ما ذكره طوماس آرنولد على لسان كلود جورج المؤرخ الانجليزي أنه قد استقرت جماعة صغيرة من المسلمين في شمال سيراليون وجاء المعلمون المسلمون ففتحوا مدارس لتعليم اللغة العربية والعقائد التي جاء بها محمد صلى الله عليه وسلم ومنعوا بيع الرقيق وسارو على شريعة القرآن.

لقد تجلى دورها خاصة في غرب إفريقيا السوداء في ميدان التعليم وذلك من خلال الكتاتيب القرآنية والمدارس العربية التي اقاموها في المنطقة كما تجلى الدور الثقافي الذي قامت به الزوايا والطرق الصوفية في غرب افريقيا من خلال عدد الكتب التي تحتوي عليها مختلف المكتبات وفي الميدان التجاري قدمت الزوايا الأمن للقوافل التجارية وذلك حتى وصولها إلى إقليم توات وطومبكتو أما في الميدان السياسي فقد ساهمت مساهمة تستحق الذكر حيث اقلقت كثيرا الاستعمار الفرنسي في شمال وغرب افريقيا وكثيرا ما حاربته حربا شديدة ظهرت بواسطتها دول محلية يتزعمها أفارقه كما أعطت دفعة جديدة للإسلام وحضارته وأيقظت الاحساس بالمسؤولية في نفوس المسلمين الأفارقة كما أنها في الجانب الاجتماعي عملت على مساعدة المحتاجين والفقراء كما عملت على رفاهيتهم وكذلك جلبت الطمأنينة بين الأفراد والقبائل.

نتائج انتشار الاسلام:

استطاع الاسلام كحضارة راقية أن يثبت وجود المدنية الإفريقية وأن يطورها وكان أحد العوامل الرئيسية التي أدت إلى ازدهار الحياة الاقتصادية في غرب افريقيا أبان العصور الوسطى وما بعدها.

1- **اقتصاديا:** لعبت التجار المسلمون دورا بارزا في إخراج الأفارقة من عزلتهم وأكبر دليل على ذلك أن هناك رحلات موسمية يقوم بها المسلمون منذ القرن 12 م والتي وصلوا بفضلها إلى اقصى الغابات الاستوائية وكنتيجة طبيعية لهذا النشاط التجاري كان ظهور المدن على طرق القوافل وهي ذات طابع إسلامي ولما أتقن الأفارقة اللغة العربية زادت التجارة بالمقايضة والاشارة، تحسن طريقة المعاملات التجارية حيث أدخل الاسلام إلى هذه الأصقاع نظام الصكوك والمعاهدات والمكاتبات التجارية يضاف إلى ذلك نظام الضرائب ومن المدن التي ساعدت على ظهور التجارة وكانت بمثابة مراكز عربية اسلامية مدينة جينيه ، طومبكتو ،غاووة، أغادش، ولاتا.

2- **الزارعة:** شجع الإسلام العمل الزراعي وتربية المواشي بعد أن كان الأفارقة يعيشون على أكل لحوم البشر الصيد والقطاف حيث تركوا حياة الترحال واستقروا في الأراضي الزراعية وكانت أنواع المزروعات الحبوب، الأرز والغلال، وقد إعترف الفرنسيون بعد احتلال السينغال أن زراعة الفستق، في هذا البلد كانت بفضل المسلمين، وإذ كان الإسلام قد قدم للإفريقيين المبررات النفسية والاجتماعية للعمل في الزراعة والتجارة فإنه كذلك خلق قوى تعمل في النشاط الصناعي خاصة الصناعة اليدوية التي أصبحت تتقدم تقدما ملحوظا فازدهرت صناعة النسيج والحياكة عن طريق محاربة عادة العري السيئة حيث برزت مدينة طومبوكتو في صناعة النسيج كما ذكر ذلك المؤرخان كاتي وانتى ديوب كما نمت الصناعات الاستهلاكية المحلية نموا كبيرا حيث ظهرت صناعة الدباغة، والأحذية والحدادة كما أن التمركز الإسلامي في مدينة سينغاي الذي اتخذ من نهرها العظيم طريقا للمواصلات وخط دفاعيا فظهر نشاط صناعة القوارب وبما ان هذا النهر يتمتع بثروة ضخمة من الأسماك سادت صناعة التجفيف بالإضافة

إلى صناعة الذهب التي كانت بمساعدة من المسلمين حيث ذكر بعض المؤرخين الأوروبيين أن مسالك الذهب وصلت الي بلدان البحر الأبيض المتوسط

3- **الاجتماعية:** اعتني المسلمون منذ فتوحاتهم الاولي لبلاد افريقيا الغربية بالجانب الاجتماعي يظهر ذلك في تغيير بعض العادات السيئة التي كانت معروفة في أوساط هذه الشعوب الإفريقية في عهدها الوثني مثل اكل اللحوم البشرية وتقديم القرابين وعدم الاغتسال والعري والانحناء امام الملك... ولقد كانت السلطة الأميسية مهيمنة علي الحياة الاجتماعية غير انه بمجيئ الاسلام الي افريقيا نسب صلة القرابة الي الاب مما اعطاها دفعا قويا ومنح بذلك للرجل دورا هاما في المجتمع. كما أن الإسلام انسجم وبمرونة تامة مع فكرة تعدد الزوجات لم يكن القضاء في الممالك الافريقية في العصر الوسيط منفصلا عن الدين الاسلامي حيث ظهر القضاة وأنشأت المحاكم في مدن معروفة مثل طوميكتو غاوو وكانبي صالح وجينيه

4- **الثقافية:** للإسلام انسياب ثقافي رائع في غرب إفريقيا يشهد له الرحالة العرب والأوربيون كما أن الواقع الافريقي يحين الي العودة للعلاقات المجدية الوثيقة التي نماها الإسلام بين العرب والأفارقة حين اوجد هذا الدين لدى هؤلاء حماسا متزايد للعلم والثقافة ففي مملكة غانا ترك الاسلام أثرا بالغا من خلال 12 مدرسة وقد ظهر جليا التأثير الثقافي في القرنين 15 و16 حيث ابدي الأفارقة رغبة كبيرة في التعلم والثقافة وظهرت نتيجة لذلك مراكز ثقافية ومؤلفات لكبار العلماء.

المحور الخامس:

أهم الحواضر العلمية والثقافية في افريقيا جنوب الصحراء

- طومبكتو
- جني
- غاوو
- أوداغشت

وجد الافريقيون في الاسلام ثقافة ملائمة لحاجاتهم فاحبوا العلم والعلماء, فالمعلم محترم ومحبوب من قبل الجميع. وقد كان التعليم في أول الأمر محصورا بالأساتذة القادمين من شمال افريقيا، ولكن بعد مدة تشكلت طبقة مثقفة من الأفارقة تولت هذه المهمة حسب ما ذكره المؤرخون المسلمون والأروبيون فان المناهج المتبعة كانت تقتصر على العلوم الدينية وعلوم اللغة العربية وايضا علم الفلك لحاجة الناس اليه .وقد ذكر المؤرخ السعدي: تراجم لـ 17 عالما من طومبكتو وحدها في مختلف الميادين العلمية من بينهم (أحمد بابا الطومبكتي، ومحمد بن أبي بكركاتي، السعدي) إن الأفارقة لم يهملوا العلوم التجريبية والعلوم الإنسانية، ومن بين هؤلاء المؤرخين كاتي الذي ثمن قيمة التاريخ من خلال كتابه الفتاش في أخبار الناس وإبراهيم السوسي المختص في الطب التجريبي. لقد تبوات اللغة العربية مكانة مرموقة في إفريقيا الغربية حسب ما ذكره "توماس أرلوند "الذي ذكر بان اللغة العربية وصلت الي حد يفوق الوصف بل إنها أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء.

1. طومبكتو: أنشأت على يد التوارق في اواخر القرن 5هـ وخلال القرن 13م أصبحت حاضرة علمية وثقافية في السودان الغربي حين كثر بها العلماء وساهموا في الإنتاج الثقافي والعلمي خاصة بعد ضعف منطقة ولاتا وقد بلغت أوج تطورها الاقتصادي والثقافي خلال القرنين 14و15م وفي عهد مملكة سنغاي (الاسقين) شهدت حركة تجارية وثقافية كبيرة كما ساد النظام والأمن والتسامح، اشتهرت طومبكتو بمسجدها الكبير في عهد" كن كان موسى"(جامع سنقرة) في نصف القرن الثاني من القرن 16 حظي العلماء فيها باحترام كبير تميزت بالتعليم العالي من بين علمائها أحمد بابا الطومبكتي وعبد الرحمان السعدي والقاضي كعت والجزائري محمد المغيلي التلمساني زارها حسن الوزان حيث ذكر بأنها تعج بالعلماء، الأطباء، الأدباء والقضاة والدعاة كما أعجب بها من حيث العمران وأشار إلى الحوانيت والضياع والتجار فقدت طومبكتو بريقها بعد الغزو المغاربي لمملكة سنغاي تلاها غزو التوارق من جديد ثم قبائل الفولاني واخيرا الاستعمار الفرنسي.

2. جني: تأتي في المرتبة الثانية بعد طومبكتو تأسست في القرن 11 م على ضفتي نهر النيجر بعد ضعف ولاتا أواخر القرن 12م اعتنق أهلها الإسلام وقد وصفها المؤرخ عبد الرحمان السعدي بان فيها سوق عظيم لتجارة الملح والذهب والعبيد ضف إلى ذلك تواجد صناعة النسيج والقطن لذا اعتبرت مركزا هاما تتزود منه طومبكتو كانت جني عامرة بالسكان اذ دبت بها حركة التجارة ونافستها من حيث الشهرة أما في الميدان الثقافي فتأتي في المرتبة الثانية بعدها طومبكتو حيث سكنها علماء أجلاء مثل كينكي والفقيه محمد شاقو احتلها أمراء سنغاي في أواخر ق15م ثم غزاها المغاربة في أواخر ق16م بعدها خضعت لمملكة سيغو ثم مملكة الحاج عمر طال واخير الاستعمار الفرنسي 1893.

3. غاوو: تأسست في القرن 2هـ هي عبارة عن قرية صغيرة غير أن أهميتها التجارية والإستراتجية بدأت تظهر في عهد الأسقيين حيث كانت عاصمة لسينغاي وحسبما ذكره البكري فإنها كانت مقسمة لمدينتين احدهما للمسلمين والاخرى للوثنين تعتبر من أشهر أسواق تجارة الملح وقد وصفها الحسن الوزان في ق 15م بالمدينة الجميلة حيث وجدها مزدهرة التجارة واسعة العمران كثيرة السكان ومن بين العلماء الذين توافدوا عليها محمد المغيلي التلمساني في اواخر ق15م، وقد سكنها الأثرياء والطبقة المثقفة واستمرت على هذا الحال الى ان غزاها المغاربة في اواخر ق16م فتدهورت اوضاعها واصيبت بالضعف بعدها غزاها التوارق وفي أواخر ق19م غزاها الفرنسيون.

4. أوداغشت: تأسست في القرن 8 م شمال غرب إفريقيا (جنوب موريتانيا) ذكرها البكري في كتابه "المسالك والممالك" بانها محطة تجارية هامة على حدود غانا الشمالية كما ذكرها ابن حوقل "بأنها كانت على صلة بمملكة غانا بسبب تجارة الملح وفي القرن 10م أخذ تجار العرب وغير العرب في التوافد عليها حين أصبحوا يشكلون وجودا واضحا باعتبارها مركزا تجاريا هاما، أغلب سكانها من العرب والمغاربة، حسب ما ذكر البكري في القرن 14 م قد تبوأت المدينة مكانة تجارية هامة حيث أصبحت

مركزا تجاريا داخل المنطقة الصحراوية على اعتبار أنها مركز عبور تجاري بين بلدان شمال إفريقيا والسودان وهذا بدوره أدى إلى قيام مؤسسات إسلامية بها كبناء المساجد والمدارس والكتاتيب القرآنية وفي نفس القرن غزاها عبد الله ابن ياسين المرابطي ثم غزتها قبائل الصوصو في القرن 13 م وطردو منها الصنهاجيين وفي القرن 16م استعادت أهميتها حسب ما ذكره البكري، ازدهرت بها تجارة الحبوب، المصبوغات، الفواكه، الأقمشة واقتصرت على تربية الإبل .

المحور السادس:

أهم الشخصيات الإسلامية الإفريقية

- عثمان دان فوديو
- الشيخ أحمدوا
- الشيخ الحاج عمر طال
- الشيخ ساموري توري

1. عثمان دان فوديو:(1745_1817م) تعلم العربية تفقه في الاسلام طاف العديد من البلدان لطلب العلم من أهم مبادئه الإصلاحية شرح اصول الدين وفروعه ترك البدع والخرافات وإتباع السنة النبوية. انكبت على تعليم العلوم الشرعية وجد ضالته في القادرية واتخذها مذهبا له استوحى فكرة الجهاد في سبيل الله ضد الوثنيين ولم يحاربهم فقط بل حث المسلمين المنحرفين أسس دولة إسلامية غرب افريقيا عاشت فترة طويلة (قرنا كاملا)، خلف ورائه إرثا إسلاميا في مختلف الميادين توفي في سوكوتو1817م .ينظر إليه أنه من أهم المصلحين في إفريقيا السوداء.

2. الشيخ أحمدوا: برزت شخصيته عام 1755 م، من قبائل الفولاني من اتباع القادرية اهتم بتعلم العربية حتى أصبح مثلا في شتى العلوم والمعارف تأثر بعد أن تركت الكثير من القبائل الإسلام ورجعت إلى الوثنية فأعلن الجهاد ضدهما، أسس مملكته التي اتخذت من مدينة حمد الله عاصمة لها تجمع حوله الكثير من العلماء والفقهاء والتجار وساعدوه على بناء مملكته ماسينا. يقال أنه نشر العدل ونظم المدن وشجع الحركة العلمية أقام نظاما اقتصاديا إسلاميا في 1845م بقيت عاصمته تؤدي دورا هاما إلى غاية عام 1862م

3. الشيخ الحاج عمر طال : 1794-1865م ورث مملكة الشيخ أحمدو يمكن تقسيم حياته السياسية والدينية إلى [1837-1846م] أدى من خلالها فريضة الحج، من أتباع الطريقة التيجانية عاش في فوتا جالون (غينيا). [1846-1854م]عاد إلى حوض نهر السينغال أعلن الجهاد ضد القبائل الوثنية المحلية اعتزل الناس وتفرغ كلية في التأمل في دنيه.[1854_1864] متعد أهم مرحلة تميزت بإخضاعه للقبائل المتمردة الوثنية ولم يوقف حركته سوى الاستعمار الفرنسي توفي وعمره 70 سنة.

4. الشيخ ساموري توري :1835 _1900م درس العلوم الاسلامية تنقل كثيرا في إفريقيا الغربية دعا إلى إقامة دولة إسلامية عام 1872م أعلن الجهاد في الغابات الكثيفة وادخل الكثير من الوثنيين في الإسلام وأخضعهم لحكمه إن هذا النشاط أقلق فرنسا في

السودان الغربي لهذا اصطدم بها ودخل معها في معارك طاحنة كانت نهايته القبض عليه سنة 1898م رُحِلَ نحو الغابون وتوفي بها عام 1900م.

المصادر والمراجع:

1. (ـــــــ) : المؤتمر الدولي الإسلام في إفريقيا 26. 27 نوفمبر 2006 ، 7. 6 ذو القعدة 1427 هـ ،الكتاب الثالث (الأوراق)، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم .

2. الأبقاري محمد أمين أبه « نشأة الممالك والدويلات الإسلامية» ، جامعة إفريقيا العالمية مركز البحوث والدراسات الافريقية، الخرطوم، 26-27 نوفمبر 2006.

3. ابن خلدون ، عبد الرحمن العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (808هـ)، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للنشر والتوزيع بيروت ،2000، ج2

4. أحمد يوسف، الإسلام في الحبشة، مطبعة الحجازي للنشر والتوزيع ، القاهرة 1935

5. إسماعيل عبد القادر : الأصولية المسيحية وأزمة الهوية في السودان ، تقديم السيد : فليفل ،مؤسسة الطوبجي للطباعة والنشر ، القاهرة ،2006.

6. باشا إبراهيم فوزي : السودان بين يدي غردون وكيتشنر ، الجزء الأول ، 1913 م، إدارة جريدة المؤيد ، الخرطوم.

7. بشير سيف الإسلام بدوى :« العلاقات الثنائية بين دولة الفونج وإثيوبيا »،مجلة دراسات حوض النيل ، العدد :2 ، أكتوبر 2000، جامعة النيلين ، الخرطوم.

8. بشير محمد عمر : تاريخ الحركة الوطنية في السودان 1900.1969، ترجمة : هنري رياض وآخران ،مركز الدراسات السودانية للكتب ، الخرطوم ،1400هـ،1980 م.

9. بكاي منصف ، دراسات وابحاث في تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ، دار الأمة للطباعة والنشر، برج الكيفان ، الجزائر، 2017 .

10. الجمل شوقي : تاريخ السودان وادي النيل ، الجزء الأول ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى، 2008.

11. جودت عبد الكريم : العلاقات الخارجية للدولة الرسمية. المؤسسة الوطنية للكتاب

12. حسن يوسف فضل : مقدمة في تاريخ المماليك الإصلاحية في السودان الشرقي 1450 ، 1821 ، منشورات سوداتك المحدودة ، الخرطوم، الطبعة الرابعة ، 1422هـ ،2003 م .

13. حسن يوسف فضل :« سلطنة الفونج الإسلامية ودورها في تاريخ سودان وادي النيل » ، مجلة دراسات افريقية ، العدد : 22 ، رمضان 1420هـ ، ديسمبر 1999 م ، جامعة افريقيا العالمية ، الخرطوم.

14. حسن ابراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، الجزء الثالث ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة 7 ، 1965

15. حوتية محمد:« حواضر نهر النيجر تمبكتو _جيني ڤاو «مجلة الحقيقة – العدد الخامس عشر، مارس 2010، جامعة أدرار ،منشورات المطبعة العربية ، غرداية ، الجزائر

16. رحلة إبن بطوطة ، تحقيق وتقديم وتعليق ، علي المنتصر الكتاني الجزء 2. مؤسسة الرسالة بيروت

17. رولاند أوليفر فيج جون موجز تاريخ إفريقيا ، الدار المصرية. للتاليفوالترجمة ، القاهرة

18. زبايدية عبد القادر مملكة سنغاي في عهد الأسقيين الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر

19. زبايدية عبد القادر: الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربية وجنوب الصحراء ، المؤسسة الوطنية للكتاب 1989.

20. زبايدية .عبد القادر : دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء ومآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2010.

21. سعد مصطفى محمد : الإسلام والنوبة في العصور الوسطى ،منشورات الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة، الطبعة الأولى ،2011.

22. شاهين عبد العزيز: دراسات في علم الإنسان، الإفريقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 2012

23. شبيكة مكي : السودان عبر القرون ، دار الجيل ، بيروت 1411 هـ، 1991م.

24. عبد الجليل الشاطر بصيلي : تاريخ وحضارات السودان الشرقي والأوسط من ق 7 إلى ق 19، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ،1992 م.

25. محمد زينب الزبيرالطيب : السودان عبر التاريخ ، مركز الدراسات السودانية ،جامعة الخرطوم.

26. محمد علي الفاضل عباس : السودان يكون أو لا يكون ؟!، مكتبة جزيرة الورد ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 2012.

27. المحيشي عبد القادر مصطفى و آخرون: جغرافية القارة الإفريقية وجزرها ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع ليبيا 2000

28. منظمة اليونسكو: تاريخ إفريقيا العام (إفريقيا من. القرن 12 إلى القرن 16 م) ، دار النهضة للنشر والتوزيع بيروت ، 1989، ج4

29. موسى عبده مختار: مسألة الجنوب ومهددات الوحدة في السودان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ،الطبعة الأولى،أوت 2009، ص : 48.، أيضا (الفادني حسن أحمد الشيخ :"الهجرات العربية إلى السودان و أثرها في تكوين المجتمعات ونشر الثقافة العربية الإسلامية" ، مجلة دراسات افريقية ، مركز البحوث

والدراسات الإفريقية ، العدد: 20، يناير 1999، رمضان 1419هـ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم .

30. ويدنر رونالدو : تاريخ إفريقيا. جنوب الصحراء ترجمة راشد البراوي ، دار جليل للنشر والتوزيع ، بيروت 2001

31. ياغي إسماعيل أحمد : تاريخ العالم العربي المعاصر، مكتبة العبيكان ، الرياض ، الطبعة الأولى ،1421هـ، 2000م .

32. ياغي اسماعيل احمد ،محمود. شاكر، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر ، دار المريخ للنشر والتوزيع ، السعودية 1993 ، ج2

33. Ronald oliver: the Midd Age of African History, Oxford University press, London.

34. Shukry ,B,A: the khadiwe Ismail and …. In the Soudan ,a these presented for the ….of .P .H.D, School of Modern History , Universty of L